اهتمام القرآن الكريم بقبول العمل الصالح

الاهتمام بقبول العلم الصالح، والخوف من عدم قبوله مقام من مقامات الإيمان العالية، وقد اهتم القرآن الكريم ببيان منزلته وعلو شأنه بعدد من الطرق:

الطريق الأول: أن الدعاء بقبول العمل الصالح مما حرص عليه الأنبياء صلوات الله وسلامه وعليهم، ومما اهتموا به، فمع أن إبراهيم وإسماعيل قاما بعمل من أجل الأعمال وأعظمها، وهو بوحي من الله وتكليف منها، ومع ذلك خافا ألا يقبل منهما فبادرا بالدعاء بالقبول قبل أن ينتهيا من العلم، فقالا: {ربنا تقبل منها إنك أنت السميع العليم}.

فهذه الآية تدل على أهمية قبول العمل والحرص عليه من وجوه:

الأول: أن الذي دعا به هو خليل الرحمن، وابنه إسماعيل.

الثاني: أنهما يدعوان بالقبول في عمل هو من أجل الأعمال وأعظمها قدرا.

الثالث: أنهما يدعوان بالقبول في عمل قاما به بأمر من الله وتكليف منه.

والرابع: أنهما يدعوان بالقبول قبل الانتهاء من العمل، فقد بادرا بالدعاء وهما في أثناء القيام به.

وهذا فيه عبرة جليلة للمؤمنين، فإذا كان هذا حال الأنبياء في الأعمال الصالحة التي يقومون بها، فكيف بغيره ممن هو أدنى منهم؟!

الطريق الثاني: أن الخوف من عدم قبول العمل الصالح من صفات المؤمنين الصادقين، كما في قوله تعالى: {والذين يؤتون ما آتوا} أي: يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقربات {وقلوبهم وجلة} أي: خائفة ألا يتقبل منهم.

الطريق الثالث: أن قبول العمل الصالح من علامات التقوى والصدق فيها، كما في قوله تعالى: {إنما يتقبل اللّٰه من المتقين}.

ولأجل هذه المعاني الإيمانية القرآنية كان أئمة السلف الصالح يهتمون بقبول العمل الصالح اهتماما عظيما، ويحملون هما كبيرا في شأنه، ويخافون من عدم القبول من الله تعالى.

وقد روي عن وهيب بن الورد: أنه قرأ: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا} ثم يبكي ويقول: يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك[١].

ويقول مالك بن دينار: "الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل"[٢]، ويخبر ابن أبي رواد عما كان عليه السلف الصالح من الخوف من عدم قبول أعمالهم فيقول: "أدركتهم يجتهدون في العلم الصالح، فإذا

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١/٢٣٣).

(٢) حلية الأولياء، الأصفهاني (٢/٣٧٧).

بلغوه وقع عليهم الهمّ أيتقبل منهم أم لا"(٣).

وقال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "كونوا لقبول العمل أشد هما منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله تعالى يقول: {إنما يتقبل اللَّه من المتقين}"(٤).

ومن الصحابة من كان يتمنى أنه يعلم قبول عمل له ولو كان قليلا؛ وذلك لعظمة القبول في نفوسهم؛ ولعلمهم أن من قُبل عمله نجي من العذاب، وفاز بالرضوان، فكان همهم متوجها إلى القبول، لا إلى العمل ولا إلى جزائه، قال فضالة بن عبيد: "لأن أكون أعلم أن اللَّه قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها؛ لأن اللَّه يقول {إنما يتقبل اللَّه من المتقين}"(٥).

وجاء سائل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال لابنه: «أعطه دينارا، فلما انصرف، قال له ابنه: تقبل الله منك يا ابتاه، فقال: لو علمت أن الله تعالى يقبل مني سجدة واحدة، وصدقة درهم؛ لم يكن غائب أحب إلي من الموت، أتدري ممن يتقبل؟ {إنما يتقبل اللَّه من المتقين}"(٦).

---

(٣) قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي (٢/٢٦٤).

(٤) حلية الأولياء، الأصفهاني (١٠/٣٨٨).

(٥) حلية الأولياء، الأصفهاني (٢/١٧).

(٦) تاريخ دمشق (٣١/١٤٦).